مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

البحث والكتابة في الدراسات الأنثروبولوجية الثقافية والاجتماعية

Research and writing in cultural and social anthropological studies

د. حطاب حطاب

PhD: Hattab hattab

جامعة محمد بن احمد- وهران (02) الجزائر

Algeria (02) Oran - Ahmed Bin Mohamed of University

hatab14000@gmail.com

Orcid N:0000-0003-4442-7260

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص:

البحث العلمي جوهر العلوم، ولا نستطيع التقدم دون هذه العملية التراكمية والنقدية، فلأجل إنتاج معرفة علمية قائمة على أسس بحثية سليمة، ومهارات بيداغوجية كفيلة لتطوير آليات التدريس والبحث الميداني، يجب إكساب فرق البحث العلمي كافة التقنيات المنهجية النظرية والميدانية، كما أن التفكير النقدي المنعكس داخل العملية البيداغوجية والمنهجية نفسها، كفيل بتحقيق قفزة نوعية لممارسة ذات جودة، لتطوير كفاءة الباحثين في استيعاب الكم الهائل من الاختلافات الاجتماعية والثقافية داخل مجتمع البحث، ومحاولة لترقية تقاليد البحث بمجتمعاتنا، فالقراءة السليمة للعلاقة بين الباحث والمبحوث وموضوع البحث، هي خطوة مهمة لكتابة علمية ثقافية جادة، توثق الجهود العلمية لأجل معرفة سليمة يمكن الاعتماد عليها في كافة ميادين الحياة.

الكلمات المفتاحية: البحث، المنهج، النظرية، الأنثروبولوجيا الثقافية، الإثنوغرافيا.

Abstract:

Scientific research is the essence of science, and we cannot progress without this cumulative and critical process, To produce scientific knowledge based on sound research and pedagogical skills to develop teaching and field research mechanisms, Research and scientific teams must get all theoretical and field methodological techniques and critical thinking reflected within the pedagogical and methodological process itself, To make a qualitative leap into a quality research practice, to develop researchers' competence in absorbing the huge amount of social and cultural differences within the research community, and to try to upgrade research traditions in our communities. A sound reading of the relationship between researcher and research topic is an important

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

step for serious cultural scientific writing, documenting scientific efforts for sound knowledge that can to rely on upon in all fields of life.

Keywords: Research, Method, Theory, Cultural Anthropology. Ethnography.

تقديم:

العلاقة بين الباحث وموضوع البحث شغلت الباحثين والعلماء، وفرضت نفسها حتى على كبار المنظرين، متسائلين في ذلك حول مدى الموضوعية التي نتحصل عليها من المنتوج العلمي؟، وهل المعرفة ستظل مرهونة بثنائية الذاتية والموضوعية؟، كيف يمكن أن تصبح العلوم الاجتماعية والإنسانية خالية من النوازع الذاتية والأحكام المعيارية المسبقة؟[1]

لقد أدرج عالم الاجتماع الفرنسي "**اميل دوركايم**"[2] جهدا متخصصا في وضع قواعد بحث علمية صارمة ترمي إلى تخلص الباحث من الحكم القيّمي المعياري قبل التعرض للظاهرة أو موضوع البحث و كأنها مرحلة تستدعي الخبرة الباشلارية(**غاستون باشلار**) للقطيعة الإبستمولوجية التي تحصن بحثنا بالصرامة العلمية وتجعل منه مقبول في الأوساط العلمية، لكن هذه العلاقة تجاوزت الذات الباحثة ومسألة اتيقا[3] البحث والموضوع إلى تساؤل آخر فرضته حتمية التطور العلمي والتغيّر وتحول المجتمعات لندخل في علاقة مع الآخر المختلف عني ثقافة ودينا ولغة، الآخر الغامض بالنسبة للنزعة الأورو-مركزية.

---

[1] لقد شغلت هذه الأسئلة الفلاسفة منذ زمن اليونان إلى عصر الأنوار مثل : ديكارت و أوغست كونت قبل أن تفرض نفسها على العلوم الاجتماعية والإنسانية اليوم.

[2] انظر : اميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، دون طبعة، مصر،1988.

[3] فضلت استخدام لفظة اتيقا على لفظة اخلاق الباحث لان هنالك فرقا فلسفيا ويخلط فيه الكثير بين اتيقا البحث وأخلاق البحث كما أن الاستخدام للمدارس العربية يختلف بين المشارقة المغاربة فلفظة الاتيقا تشمل حدود خارج الأخلاق العامة المعترف بها إلى الوضع العلمي الخاص.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة العلمية إلى تمكين الباحث من قواعد وأساسيات البحث العلمي، وتحقيق المقدرة الاستطلاعية والاستكشافية لدى الباحثين، من خلال تعزيز قيم البحث العلمي، والإشادة المنهجية والأدوات والأسس الدراسية الحديثة، بالأخص في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

أهمية البحث:

تتلخص أهمية هذا المقال في القيمة المنهجية البحثية وضرورة التفريق بين المنهج والمنهجية، كما كلاهما عملية بنائية وتشكليه فهي ليست مجرد خلفية نظرية وهيكلية أكاديمية مفرغة من محتواها العلمي والمعرفي، هذه المخرجات في الأخير التي نريدها أن تنعكس على مجتمعنا البحثي والتي تتعزز مقدرته من خلال نشر تقاليد البحث العلمي خاصة في العلوم الاجتماعية المعاصرة.

إشكالية البحث:

إن الدراسات الحقلية الاثنوغرافية والانثروبولوجية والاثنولوجية تشكّلت من عمق العلاقة بين الأنا والآخر، بين الـ"نحن" والـ"هم"، لكن هذه العلاقة اليوم لم تعد بهذه الفجوة أو المسافة فهي أكثر تكاملية وتعاونية سيكتب كلاهما عن ذاته والآخر في ذات الوقت ما يتطلب لدى الباحثين مهارة علمية ومنهجية ومعرفية إذن:،ما الذي تمثله العلاقة بين "الـ"نحن" و"الغير"؟، هل هي نقطة لم تكتشف بعد وتستحق البحث؟، كيف يمكن فهمها واستيعابها؟، هذه المسائلة التاريخية تمخض عنها مجهود نظري مؤسس لمولد علم الأنثروبولوجيا، لكن هل يبقى الآخر هو الأجنبي عني أم أنه جزء من تكويني الثقافي التاريخي والوجداني؟ ما هي المناهج والتقنيات الكفيلة لدراسته؟

المنهج المستخدم:

المنهج الموجه لهذه الورقة البحثية هو المنهج الأنثروبولوجي في شقه الوصفي، يتجلى ذلك من خلال تبين قيمة الملاحظة، والكتابة الثقافية السردية. والنقد للذات والغير.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المحور الأول: الباحث، الموضوع، الآخر تاريخ كتابة ثقافية

الباحث جزء من مجتمع البحث أي أنه خضع لعملية تنشئة تجعل منه الحارس القيّمي والمدافع عن معايير مجتمعه المنظمة والضابطة، وبالتالي يصعب أن يكوّن معرفة أو موقفا علميا صارما خارج حدود مناخه التربوي والثقافي المعتاد، وكأنه يلزم نفسه التنفس بغير العادة، وهنا مرحلة مهما لتأسيس الفصل بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي، بين المسألة العلمية والوطنية، بين كل المجازفات وتحقيق المعرفة العلمية وكأنها هم لتوضيح حقيقة مجهولة على حساب الذات والإرث الثقافي، وهذا ما دفع "**إميل دوركايم**" لتأسيس قواعد بحث صارمة، لكن هل يطبق هذا جميع الباحثين و الدارسين؟.

أحد أهم أسس التعليم الكفء يبدأ من القطيعة مع ما ورثناه ثقافيا واجتماعيا والانطلاق من أسس منطقية سليمة وموضوعية ملتزمة لتحقيق معرفة علمية، فالمعرفة العلمية لا تعني بناء خطوات منهجية جوفاء من روح العلم، لا تعني إكثار من تدريس واستعمال مناهج من غير نتائج مؤثرة في الوسط العلمي والاجتماعي، فمسؤولية العلوم الاجتماعية ليست حبيسة خطاطة المكاتب بل هندسة واقع آخر مختلف بناءا وتمثلا.

المنهج التاريخي نقطة التقاء بين العلوم الإنسانية والاجتماعية وحتى العلمية الأخرى وهو منهج مهم في السوسيولوجيا و الأنثروبولوجيا وعلم النفس، لكن دائما يبقى قيد التشكيك والضعف، والمهم هو كيف يمكننا أن نطور آليات بحث تساعدنا للاستفادة من المنهج التاريخي؟، رغم دعوة البعض أنه عقيم لكن العقم يكمن في رأي داخل آلية استعماله وليس في المنهج نفسه، لأن العملية السردية الوصفية التاريخية تمكننا من التعمق في فهم تاريخ إثنية قبائل ومدى تطورها على مراحل مختلفة[4]، وتاريخ شعوب يمكننا من وضع فرضيات مجالية سليمة قائمة على أسس تطورية أو انتشارية بنيوية أو تفكيكية كل عملية تحترق داخل آتون المنهج التاريخي، والسؤال المهم هو كيف يمكننا أن نستخدم هذا المنهج من دون تحيّزات ذاتية؟ كيف يمكننا التحقق من المعلومة وصحتها؟ كيف نمارس آلية النقد الداخلي والخارجي بطريقة تسمح بكشف حقيقة أو إقرارها؟

[4] جون توش،المنهج في دراسة التاريخ، ترجمة ميلاد المقرحي، منشورات قار يونس، بنغازي ليبيا، ط1994،1.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يدرج الأستاذ "فضيل دليو"[5] آليات وخطوات مهمة لاستخدام المنهج التاريخي منها:

النقد الأعلى:

والذي نقصد من خلاله تحليل محتوى المصادر ومقارنته مع باقي المحتويات وتحليل الخصائص الفيزيائية للمصدر والوثيقة.

النقد الأسفل:

والذي نحدد من خلاله مستوى سلامة النص وتستعمل:

الانتقائية، التصنيف الشجري، التصنيف الفرعي.

النقد الداخلي:

عملية إثبات مصداقية كل وثيقة.

ويفيد الباحث بضرورة اخذ احتياطات منها:

- ✓ المذكرات: مراعاة خصوصية المذكرات الشخصية ونسقها لأنها تحاول ان تظهر دائما بمظهر لائق.
- ✓ المراسلات: ينبغي مراعاة كذلك نسقها التاريخي.
- ✓ التقارير والوثائق: مراعاة الجهة المرسلة والمستقبلة.
- ✓ الصحف: الانتباه للجهة التي تعمل لها والرقابة الحاصلة عليها.

يظهر من خلال مما سبق بعض الآليات الأساسية للباحث المبتدئ في العلوم الاجتماعية لكن أظن أن هنالك مسألة مهمة فالمنهج التاريخي لا يقصد به مستوى من الوثائق فقط فهناك الظاهرة الاجتماعية، وهناك الآثار والدراسات الحضارية وكيفية دراستها تاريخيا من الناحية المادية والمعنوية، وما هي الوثائق والتقنيات اللازمة لذلك؟، كيف يمكن

[5] فضيل دليو: مدخل إلى منهجية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار هومة، الجزائر،2014ص93-96

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

تأهيل الدارسين ميدانيا لذلك؟، كما أن الطلبة لا يستفيدون من عمليات ميدانية تؤهلهم للبحث الميداني بالمنهج التاريخي المزدوج العمل بالوثيقة والتاريخ البشري.

الظاهرة الإنسانية تحتاج إلى الدراسة التاريخية لمعرفة تطوراتها وتجلياتها وأثار ذلك على كل مستوى.

الأنثروبولوجيا الفيزيقية والبيولوجية والحفريات الأثرية متقدمة في هذا المجال على الأشغال السوسيولوجية، خاصة من الناحية المنهجية والميدانية، لأن لها مراكز ودعم مالي وتكوين متخصص في جميع المجالات العلمية، بحيث تتقاطع مع البحوث الطبية والجيولوجية والبيولوجية وغيرها من التخصصات، لكن السؤال المهم هو: كيف يمكن الارتقاء بالأنثروبولوجيا داخل الجامعات ومراكز البحث عندنا؟ كيف يمكن لنا أن نتحول من السرد التأريخي الأدبي إلى مستوى النقد التاريخي العلمي؟، كيف يمكن إكساب الدرس البيداغوجي قوة تنسيقية مع العمل الميداني؟، ينبغي أن نعلم أننا متأخرون في هذا المجال ولم نهيأ أنفسنا لخوض هذا الموضوع والمشكلة أن الأنثروبولوجيا في الجامعات الجزائرية تقترب من المستوى الأدبي وتبتعد عن المستوى العلمي المسئولة عنه أساسا، ومجتمع مثل الجزائر متسع جغرافي مختلف ثقافيا متنوع اثنيا ومتدرج اتنولوجيا لا يمكن إهماله واتكال على قراءات الآخر لنا فقط. فحجم ما كتب عنا باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الألمانية من طرف الآخر في فترة ما يفوق أضعاف الأضعاف ما كتبناه نحن عن أنفسنا، و الذي كتبناه لا يخرج عن تكرار وتصديق ما قالوه دون فحص وتنقيح تاريخي، فما كتب عن القبائل أو الإثنيات الصحراوية أو أعالي الأطلس يحتاج إلى تحقيق تاريخي علمي صارم، وما دونه الرحالة الألمان عنا مثلا: يحتاج هو الآخر لمراعاة ما كتب عن هويتنا وثقافتنا لكن الأعمال مغيبة والدعم المعنوي والمادي ضعيف في هذا المجال كما أن مستودع الوثائق والأرشيف ضعيف مقارنة مع مستويات عالمية التي تعرف عنا الكثير ونحن لا نملك إلا اليسير، كما أننا لا ندعم فرق بحث في هذا المجال بصفة كفيلة للتأثير في الأوساط العلمية على الأقل.

أوضح هنا مستوى معين من التحليل على أنني لا أدعو لأن نكون مسجونين في التاريخ أو أن نكون كائنات بحث ماضوية تعيش بالتاريخ وللتاريخ، بل أرى أن مجتمع علمي لا يملك أرشيفه وتاريخه المنقح الخاص به ولا يؤسس لتاريخه هو مجتمع تابع معرفيا ومن شروط العلم **والبحث الكفء الاستقلالية والحرية.**

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الكتابة الثقافية مسؤولية علمية وتاريخية ولا يمكن أن نسمي ذلك بحثا إذا لم نكتب بصفة علمية، في الأنثروبولوجيا تتحول الدراسة إلى احتراف الكتابة الثقافية، فالباحث يسأل نفسه كيف يمكن أن أجعل من نفسي أنثروبولوجي؟ كيف يمكن أن أكتب عن الإنسان والمجتمع والثقافة؟ ما مدى مسؤولية عن كل ما أكتبه؟ ما هي الفنون والتقنيات اللازمة لكتابة ثقافة؟

الكتابة ثقافة علمية لكتابة ثقافة تاريخ بشري ولهذا يدعونا" **بيار بورديو**" لأن نملك حرفة عالم الاجتماع الميداني، ويؤسس لذلك عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي "**كليفورد جيمس**"[6] و"**جورج ماركيوز**" حول موضوع كتابة الثقافة. كما يرشدنا الأنثروبولوجي الأمريكي الرمزي "**كليفوردغيرتز**" الى ضرورة ملحة على العالم الأنثروبولوجي للخروج من **الدوغما المنهجية** بقوله:

"If you want to understand what a science is, you should look in the first instance not at it's theories or its findings, and certainly not at what it's apologists say about it; you should look at what the practitioners of it do.[7]"

يقصد بذلك مراعاة النظر والملاحظة والتحليل داخل المجال الميداني وليس الغرق بالنظر فيما أنتج من نظريات حول مجتمع ما، فالفهم الصحيح لا يكمن في جهود تنظريه بالقدر الذي نجده خصبا في ميدان البحث من خلال ممارسة فعل البحث.

ويقول "**كلايد كلوكوهن**":في كتابه مرآة الإنسان"أن الانثربولوجيا لم تعد علم الأقدمين والماضي السحيق...."[8]لكن يقول "**بروميله وبودولوني**" في كتابهما المعنون ب:الاثنوس والتاريخ: "... وبهذا ينطوي البحث فيها –أي الشعوب– سواء على مغزى نظري أو على مغزى عملي مُلَّحْ، مع العلم أنه لا يكفي لتحقيق هذين الغرضين البحث في حالة الشعوب

[6] Lo.cit, JAMES CLIFFORD AND GEOGE E.MERCUS, Writing culture, university of california press, 1986.

[7]CLIFFORD GEERTZ, *The Interpretation of Cultures. New york.1973.p5.*

[8]بيرتي ج بليتو: دراسة الانثروبولوجيا، المفهوم والتاريخ، ترجمة كاظم سعد الدين، بدون طبعة، بغداد ،2010ص11.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الراهنة وعلاقاتها وتأثيرها المتبادل في الوقت الحاضر فقط، إذ لا يمكن فهم ما هو حيوي بدون دراسة الماضي، كما لا يمكن بدون هذه الدراسة إلقاء نظرة على المستقبل الشعب المحتمل..."[9]، ونحن ندرك من ذلك أننا لما نستخدم منهج تاريخي ليس بالضرورة نعيد انتاج الماضي أو ندرك بسخف أن الأنثروبولوجيا هي العودة إلى الماضي أو دراسة أقاصي الأماكن وتواجدا الإنسان بها، أو أن نظن أن الأنثروبولوجيا هي علم البدائيين، لا أبدا فالأنثروبولوجيا اليوم نحن بأمس الحاجة إليها لفهم الإنسان وتعقد مجاله وتاريخه الحاضر فعصر التحضر والتمدن والمواصلات والإتصال والتكنولوجيا وتفاعل العوالم الصغيرة والكبير يدعونا إلى فحص تقنيات بحثنا والبحث عن تجددها، ومن هنا نقول إن التاريخ في العلوم الاجتماعية وبالأخص في حقل الاثنوغرافيا والاتنولوجيا والأنثروبولوجيا مهم لتسجيل كل مرحلة وتوثيق كل مكان وكل سلوك ولغة، وهذا لا يمكننا إلا بالاعتماد على الوصف المكثّف الاثنوغرافي واللغة الأنثروبولوجية والأدوات السمعية البصرية والكتابية التي تسمح بتطوير آليات فهم واستيعاب جيد للباحث وموضوع البحث،وبهذا نكون قد كتبا تاريخ الإنسان وثقافة البشر بكتابة ثقافية علمية، إذن ما هو الوصف المكثف؟ كيف يكتسب الباحث حرفة الحاكي أو المسجل الفونوغرافي؟، كيف يمكننا إكساب الباحث اللغة الكفيلة واللهجة المناسبة لدراسة مجتمع ما أو تسجيل حضارة إنسية؟، ما هي الأدوات المنهجية والبيداغوجية لإكساب الطالب مهارة الوصف الاثنوغرافي؟ ما الفرق بينه وبين الوصف السردي العادي؟

المحور الثاني: المنهج الوصفي سرد اثنوغرافي حيوي

تقريبا كل الباحثين والعلماء الأنثروبولوجيين امتهنوا حرفة الاثنوغرافيا قبل أن يصبحوا أنثروبولوجين، فالوصف الاثنوغرافي محدد ومضبوط بالطبيعة الإثنية وهو جزئي ويمكن ضبطه ميدانيا، ومن ثم نرتقي إلى المجهود الإثنولوجي الذي يعتمد المنهج المقارن في أغلبية الأعمال للمقارنة بين الشعوب وحضارة الشعوب وطبيعة السلالات البشرية وتكوينها الثقافي والاجتماعي الحضاري، ومن ثم تكلل جهودهم الى التعميم لدراسة ظواهر مختلف الجنس البشري على امتداد كل الحضارات وتنوع كل الثقافات واختلاف كل النظم الاجتماعية لكن تبقى المادة الدسمة للانثربولوجيا هي

[9] بروميليه وبدولوني: الاثنوس والتاريخ، ترجمة طارق معصراني، دار التقدم،دون طبعة، مطبوع بالاتحاد السوفياتي، 1988،ص6.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

جهود الاثنوغرافيين هو السرد الاثنوغرافي أو الحاكي المسجل فما قام به **مالينوفسكي** أو **رادكليف براون** هو إلى حد اليوم مصدر حيوي لقراءة تلك الشعوب نقدا وتحليلا، وحقيقة نحن اليوم لا ندعو إلى التوقف عند المرحلة الوصفية بل إلى تحليلها لكن هنالك مأزق ابستيمولوجي، كيف يمكن أن نقرأ على نحو**غيرتز** بتجاوز الوصف دون جمع كم هائل من التسجيل والوصف؟ كيف يمكن التحليل والتفسير لظواهر إنسانية دون مادة اثنوغرافية محلية مسجلة؟ وهذا الفرق الابستيمولوجي المنهجي هو فارق حضاري للتطور العلوم والمجتمعات فإن كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية أو الرمزية الأمريكية تجاوزت مرحلة الوصف فنحن لزلنا في الحاجة إليها.

- **مشكلة اللغة واللهجات المحلية:**

الباحث في الأنثروبولوجيا بالجامعات الجزائرية متروك على الأهواء دون التوجيه العلمي الصارم فمن جهة تقدم له مادة تدريس عن المنهج الوصفي دون الإقرار بالفارق المجالي الميداني، فالإنسان الجزائري اليوم ليس موحد اللهجة واللغة فكيف يمكن البحث أو إجراء مقابلة أو تسجيل فونوغرافي وتحليله دون إدراك و وعي بتلك اللغة؟، والفشل في التواصل اللغوي يعني فشل حتمي في العمل الميداني والتحليل الامبريقي، فمراكز البحث والجامعات لا تدرك حجم هذا الإغفال لمشكلة اللهجة، هذا من جهة ومن جهة أخرى المواد الأنثروبولوجية والمنهجيات الدراسية المتطورة اليوم في مراكز البحث الغربية والشرقية لا تتعامل باللغة العربية وكحد أدنى التعامل باللغة الفرنسية ناهيك عن اللغة الإنجليزية والألمانية فكيف سيتمكن الطالب من كسب خبرة أنثربولوجية إن لم يتمكن من ناصية اللغات الأجنبية؟، الآن نحن أمام مأزق لغوي منهجي ومأزق من ناحية اللهجات والمجتمع الجزائري متنوع اللهجات فكيف سيتم النجاح في **السرد الاثنوغرافي** لقبيلة أمازيغية قبائلية أو صحراوية "زناتية" أو شلحة؟، إن لم نتعلم ذلك :هناك دليل قطعي قدمه "**كلود ليفي شتراوس**" عن هاته المسألة بقوله عن دراسة "**فرانز بواس**":" ...إن هذه الطريقة أكثر شيوعا لديهم مما عليه في لغة أخرى من اللغات التي أعرفها فعبارة: إن الرجل الشرير قد قتل الطفل المسكين تؤدي بلغة الشينوك" إن شرّ الرجل قد قتل مسكنة الطفل، كما أن عبارة استخدمت المرأة سلة صغيرة جدا تؤدي بالقول: إنها تضع جذور الأعشاب في صغر سلة لجمع الأصداف"[10]

[10]كلود ليفي شتراوس: مقالات في الإناسة: جمعها ونقلها إلى العربية حسن قبيسي، دار التنوير بيروت، لبنان، دون طبعة،2008ص7.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الوصف الاثنوغرافي أساسه كسب لغة الجماعة المراد دراستها وإلا الوصف سيخرج عن سياقات تأويلية خاطئة حتما، فنحن نجد صعوبة باللغة العربية فنغير دليل مقابلة إلى اللهجة

الدارجة فيصعب إعادة بناء معناها إلى الأصل المراد فما بالك باللهجات المختلفة.

- **مشكلة الميديا:**

الوصف ليس حرفة سهلة على الاثنوغرافي فهي مهنة يراد تعدد اكتساب اللغات فيها وكذا الدراية بالثقافة المحلية والسلوك المحلي وهذا يتطلب الملاحظة بالمعايشة، لكن أننا ندرك حجم الفرضيات التي يبنيها الباحث وينطلق منها ويعيد الرجوع إليها والتحقق منها ميدانيا لكن هنالك أيضا الحس المناسب لالتقاط الكلمة والسلوك المناسب في الوقت المناسب والطريقة المثلى لكسب ثقة المبحوثين، كما ندرك إن جلّ إلاثنوغرافيين سجلوا أعمالهم بواسطة تقنيات سمعية بصرية وهذا يتطلب تكوين أيضا دقيق واحترافي لتسجيل السلوك والمنظر والمجال المناسب لدراسة الظاهرة، وهذا يتطلب إشهاره بالجامعات بالقدر نفسه داخل أوساط مجتمع البحث.

كما يمكن أن نستثمر اليوم في وسائل الاتصال والتكنولوجيات الحديثة التي تسهل من عملية التسجيل الصوتي، وكذا الوسائل الأخرى التي تعكس الهوية الثقافية للأدوات التواصل الاجتماعي، وينبغي كذلك التفكير في التنظير المنهجي لها من قبل القامات العلمية المتخصصة.

- **الفرق بين الوصف السردي الأدبي والتسجيل الفونوغرافي الاثنوغرافي**

ينبغي أن يفرق الطلبة والمدرسون بين الوصف الأدبي والصحفي للظاهرة وبين التسجيل الفونغرافي في العلوم الاجتماعية، فالمادة الأدبية تختلف من حيث البناء والأهداف عن العلوم الاجتماعية كما أنها تختلف عن الأخبار الصحفي إلى مستوى البناء العلمي وهذه في حد ذاتها مسؤولية وتحدي معرفي وتجريبي، فالوصف الاثنوغرافي أو الأنثروبولوجي يرتكز على الالتقاط والاقتناء والعناية باللفظ ومستوى الخطاب لتسجيل الثقافة والسلوك ومعرفة كيف يفكر هذا الإنسان؟ كيف يستخدم ثقافته ونظمه الاجتماعية؟ وهذا مقرون بقراءة اللفظة اللغوية وتسجيلها على نحو بناء

نقلها كلود ليفي شتراوس عن فرانز بوس، من كتاب دليل اللغات الهندية الأمريكية ، القسم الأول،1911،ص657-658.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الفرضيات ودليل المقابلة والتحقق منها، وحتى اكتساب خبرة توجيه للمقابلة في البحوث الاجتماعية، إلا أن الوصف **الاثنوغرافي**[11] يقتضي ألا يفوت الباحث أي جزء من التسجيل اللفظي والجسدي والسلوكي، وكل أشكال التعبير الظاهرة والخفية، كما أنها تعتمد في غالبيتها على منهجية **مونوغرافية** محددة تلتزم أن تعايش الوحدات البشرية ودراستها من كافة النواحي، وهنا يجب إن يملك الباحث ثلاث مهارات مهمة:

1. المعرفة النظرية الفعلية المتعلق بالوجود الموضوعي الذي يعايشه.
2. المعرفة الفعلية وممارسة الخطاب وأدوات التواصل الجيد.
3. المعرفة السمعية: ينبغي أن يملك قدرة على الاستماع الجيد.

المحور الثالث: عنصر المفاجئة الميدانية وسبل التعامل معها:

لا يخلو أي بحث من جوانب عدم الاكتمال والنقص بالإحاطة العلمية النظرية– الميدانية وذلك حتمي بسبب التغيّر السريع للظاهرة، والزمن الذي نبحث فيه زمن متحرك داخل الظاهرة ومأثر ومتأثر بالمستوى"Macro" "Mezo" " Micro" للظاهرة وهذا تحدي يتطلب مرونة الباحث يقول: " **ماكس فيبر**" "...في اللحظة التي نحاول فيها التفكير في تجربتنا مع الحياة في حالات محددة ومباشرة فإننا سنجد أحداثا لا نهائية تدور في كل داخلنا وخارجنا وتظهر وتختفي بشكل تتابعي زمني وهذا الفيض اللانهائي لا يخبو حتى عندما يكون تركيزنا موجها ومحددا..."[12] هذا يعني أن الظاهرة الاجتماعية مائعة وغائبة عن التركيب المنسق ومن الصعب أن تتطابق جميع مواصفاتها في مكان وآن واحد، خاصة مع تعقد علاقة الإنسان والثقافة والطبيعة.

إن الخاصية التي تتميز بها الظواهر الاجتماعية والانسانية من الصعب إيجاد منهج أو أداة واحدة تستوعبها، فالكينونة الاجتماعية أو النظم الاجتماعية لا يمكن لمسها مباشرة وببساطة وحتى الأشكال الثقافية التي تتعدى التجربة المباشرة، لذلك وجب عليه العناية الكافية بمستوى تعقد الظاهرة وصعوبة إعادة تركيبها وتجسيد خطاب علمي سليم، لكن يبقى

[11] انظر،روبرت ايمرسون وآخرون، البحث الميداني الاثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهرى، المركز القومي للترجمة، الجيزة، مصر،ط 1، 2010.

[12]روجر هيكوك وآخرون، البحث النقدي في العلوم الاجتماعية، ترجمة اليزا غازريان، الطبعة الأولى،جامعة بيرزت.فلسطين،2011ص8.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عنصر المفاجئة مستوى آخر يتعرض له الباحث وأقصد بذلك عنصر المفاجئة الميدانية، خاصة بعد التحقق من الفرضيات والنزول إلى الميدان من إجراء مقابلة أو تنظيم ملاحظات فما يلبث الباحث حتى تنبثق عناصر مستجدة تتعارض مع الموضوع المحدد الذي يدرسه، فكيف سيتعامل مع العناصر المفاجئة؟ هل يقر بها في بحثه حتى ولو أفشلت فرضياته؟ وهل العناصر المستجدة الاستثنائية تدعم البحث أم تعيقه؟

في نظري المفاجئة الميدانية دليل على نجاح تجربة الباحث وإن فشلت الفرضية، فاكتشافه لعناصر تعارض منطق بحثه غنى للموضوع، وينبغي أن يدرجها الباحث في بحثه وتسجل ضمن تحليلاته النقدية، فعنصر المفاجئة يعزز النقد الداخلي البناء للبحث والباحث على حد سواء.[13]

ينبغي أن يتحقق الباحث من صحة المفاجئة و أن لا تكون عرضية بل على الأقل تملك عنصر التكرار داخل حيزها، مثلا: نقول أن سكان مدينة عنابة وشبابها يرغبون في الهجرة باتجاه إيطاليا ونبني فرضية بعد التحقق على هذا النحو، بعد أشهر نلاحظ تغير الوجهات لبعض الشباب بالهجرة نحو روسيا أو بريطانيا وبكثافة معينة، أو أن نقول: أن سكان الصحراء لهم طقوس خاصة بالشاي فنبحث عنها فنجد في الوقع غير ذلك منهم من يحترم تلك الطقوس ومنهم من لا يحترمها ومنهم من يخرج عن عبادة الشاي إلى القهوة أو مشروب آخر كل هذا يسجل ولا يقصى ويناقش ويحلل ويوضع له إطار بحث مناسب.

إذن المفاجئة السوسيولوجية(الاستثناء) مرحلة زمانية مكانية مهمة لاكتمال البحث وليس إنقاص من شأن البحث أو دليل ضعف بصيرة الباحث.

المحور الرابع: توصيات لكفاءة بحث الطلبة المختصين

قبل أن نتعرض لتوصيات تمس كفاءة الدارسين والمختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية

[13] انظر، سوتيرويوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة شحدة فارع، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،ط1،الدوحة قطر،2017.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

فإن هناك مرحلة سابقة تؤثر على عملية البحث و استخدام التقنيات المنهجية اللازمة لتوجيه مشروع بحث ألا وهي مشكلة التشرذم المنهجي في تقديم المادة المنهجية وتطبيقها في رسائل التخرج و غياب التفاهم بين الهيئة التدريسية القائمة على دفعات التخرج، فيشتكي الطلبة من تلك الرؤية الضبابية في تقديم عنصر بحث على آخر أو أن تكون بناء الفرضية بهذا الشكل أو أن التقنية والأداة البحث التي تناسب البحث هي المقابلة ليست الاستمارة، تجد أستاذ يوافق والآخر يعارض دون أن يعالجوا ذلك في الغرف العلمية ويحاولوا التقريب بين الفرو قات من أجل أن لا يتشتت ذهن الدارس، لذلك أوصي بأن تقام دورات منهجية ما بين المدرسين لمعالجة كل أشكال الاختلاف في تقديم المادة المنهجية، من أجل خطوة مهمة لتوحيد جهود الطلبة و إقرار الثقة في العلوم الاجتماعية، كما ينبغي لنا أن نفرق بين كل تخصص وآخر فعلم الاجتماع يتشابه مع الأنثروبولوجيا إلا أنه يختلف في كثير من الأمور مع الطرح المنهجي الأنثروبولوجي إلى الممارسة الميدانية.

التوصيات والمقترحات

لأجل أن نساعد الطلبة على الرفع من كفاءة بحثهم وشخصهم أقول لا بد من مراعاة هذه العناصر:

- ✓ هجر الأحادية اللغوية إلى التعددية اللغوية، لابد من كسب لغات أخرى تتناسب مع طبيعة التخصص الثراء اللغوي يقوي ويعزز البحث.
- ✓ المتابعة والإلمام بكل ما هو جديد وحديث عن التخصص وكل المنتجات المعرفية والبحوث والدراسات.
- ✓ الإحاطة بالجهود النظرية والدراسات العريقة ومحاولة تجاوزها.
- ✓ توسيع الخبرات الميدانية والتحقيق الميداني بالبحث المستمر.
- ✓ اكتساب مهارة الاستماع الجيد والتقليل من الثرثرة أثناء ممارسة البحث.
- ✓ توظيف كل الحواس أثناء البحث فالحظ حليف العقل الفطن.
- ✓ التزام الحياد الموضوعي والاهتمام باللغة الأكاديمية والعلمية والابتعاد عن الممارسة الإيديولوجية التي تقتل البحث في مهده.
- ✓ العمل عبر فلسفة روح الفريق، فلقد ولى عصر العبقرية الموسوعية الفردية الأنانية.

هذا من جهة الطالب أما من جهة المؤسسات المسئولة:

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

- ✓ فتح قنوات البحث بين جهات الوطن والجامعات عبر تأسيس بنوك معرفية خاصة بالإنتاج الأكاديمي العلمي بحيث يصبح لكل باحث ودارس الحق في الاستفادة من الجهود البحثية عن طريق حسابات رسمية.
- ✓ التوثيق والأرشيف لكل الدراسات بطريقة الكترونية تسمح بالاستفادة منها عبر التكنولوجيا المعاصرة وأدوات التواصل التقني.
- ✓ فتح قنوات الاتصال الخارجية والرسمية بالهيئات والجامعات العالمية المتخصصة بالحسابات الرسمية لطلبة الماستر والدكتوراه.
- ✓ المتابعة والمراقبة الميدانية لجهود الباحثين والدارسين من أجل رفع حس المسئولة عن الأداء الدراسي وكل ما يقدمه هو مسئول عنه أمام القانون والمجتمع.
- ✓ طرح مسألة الحماية القانونية للدارسين الميدانين والتقنين لها داخل الجامعة وداخل القانون العام حتى تصبح لدراساتنا مستوى جدي وحس مسؤولية.

الخلاصة:

العلوم الاجتماعية وبالأخص الأنثروبولوجيا و الاثنوغرافيا، لا زالت حقول معرفية ننظر إليها بعين الريبة في المجتمع العربي، كونها ارث كولونيالي، يعتبر هذا المنظور أحد أسباب تأخر تقد هذه العلوم من حيث عدم سهولة انتشارها والتعريف بها والانخراط في مشاريعها البحثية، إلا انه يمكن القول إن التجربة بالجامعات العربية لا زالت تجربة فتية تحتاج الكثير من العناية من حيث التعريف بقيم وأهمية هذه المادة المعرفية، وبحقولها الثلاث الاثنولوجية والاثنوغرفية و الانثربولوجية نظريا ومنهجيا وامبريقيا، بحيث تكون واضحة المقاصد والأهداف، وأهم هدف هو توجيهه لذاتنا، للبحث فيها واستنطاقها، ولا يتم هذا طبعا إلا باحتراف العمل الميداني والتكسب المعرفي والاستخدام المنهجي، لجعل هذا التخصص والمادة المعرفية حلقة وصل بين المجتمع والجامعة، إن الملاحظة الامبريقية والمشاركة والتصوير الفوتوغرافي بدا يأخذ حيّزا متداخلا في مجتمعنا المعاصر بين الثقافات ما يدفع إلى العناية بتوثيق هذه المواد السمعية البصرية من منتجات المعرفة الأنثربولوجية وهذا ما يعزز رغبة الباحثين في التمكن من هذه الأدوات البحثية المعاصرة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/12/2022
العدد الرابع: ص.ص 216-231 ISSN: XXXXXXX Issue: N4
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قائمة المصادر

باللغة الانجليزية:

- CLIFFORD GEERTZ, *The Interpretation of Cultures.new york.1973.*
- JAMES CLIFFORD AND GEOGE E. MERCUS, Writing culture, University of California Press, 1986.

قائمة المراجع باللغة العربية:

- إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، دار المعرفة الجامعية، دون طبعة، مصر،1988.
- بروميليه وبدولوني: الإثنوس والتاريخ، ترجمة طارق معصراني، دار التقدم، دون طبعة، مطبوع بالاتحاد السوفياتي، 1988.
- بيرتي ج بليتو: دراسة الانثروبولوجيا، المفهوم والتاريخ، ترجمة كاظم سعد الدين، بدون طبعة، بغداد ،2010.
- جون توش، المنهج في دراسة التاريخ، ترجمة ميلاد المقرحي، منشورات قار يونس، بنغازي ليبيا، ط1،1994.
- روبرت ايمرسون وآخرون، البحث الميداني الاثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجيزة، مصر، ط 1، 2010.
- روجر هيكوك وآخرون، البحث النقدي في العلوم الاجتماعية، ترجمة اليزا غازريان، الطبعة الاولى، جامعة بيرزت. فلسطين،2011.
- سوتيرويوس سارانتاكوس، البحث الاجتماعي، ترجمة شحدة فارع، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة قطر،2017.
- فضيل دليو: مدخل الى منهجية البحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، دار هومة الجزائر،2014.
- كلود ليفي شتراوس: مقالات في الإناسة: جمعها ونقلها الى العربية حسن قبيسي، دار التنوير بيروت، لبنان، دون طبعة،2008.